البيان في سورة الفجر

تأليف

دكتورة / منى محمد على

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الاسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ، خالق الاصباح ، وخالق الليل والصباح ، والصلاة والسلام على نبى الهدى والفلاح ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين الى يوم الدين ..

وبعد ...

فان كتاب الله تعالى آيات معجزة ، نزل بها الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب رسولنا الهادى محمد بن عبد الله ، ليكون هدى ورحمة المؤمنين .

وقد تحدى الحق جل وعلا بكتابه الفصحاء من أرباب البلاغة والبيان ، ومازال هذا التحدى قائما الى قيام الساعة **« قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »** .

وقد ألف العلماء مصنفات كثيرة ، ووضعوا كتب قيمة فى بيان وجوه الاعجاز القرآنى كالخطابى والرمانى ، والباقلانى ؛ وأسس الامام الفاضل عبد القاهر الجرجانى كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » على هذا المنهج ؛ منهج البحث فى اعجاز القرآن الكريم ، ولم يكن السابقون أكثر حظاً من اللاحقين المتأخرين كابن الأثير وغيره ممن طوفوا

بالمعـانى فى ظـل واد بحـث عن شـاردة الذهـن أو واردة حوض الفـكر ممـا يتصـل بالكتاب العـزيز الذى لا يأتيـه البـاطل من بين يديـه ولا من خلفـه • ويضـاف الى جهـود السابقين من الأولين والآخرين ما يكتب اليـوم فى البيـان القرآنى فهـو جهـد البلغـاء والأدبـاء الخالص • خـدمة لكتـاب ربهـم الذى هـو دسـتور حيـاتهم •

وهـذه هى محـاولة لاظهـار البيـان القرآنى حيث أودع الله سبحانه وتعـالى فى كتـابه العـزيز كـل ضروب الفصـاحة وأجناس البـلاغة ، وأنواع الجـزالة ، وفنـون البيـان وحسـن الترتيب ، والتركيب ، وحسـن البـلاغ ، وطـلاوة المنطق ، وروعة الرونق ولأن أفضـل ما يسعى اليـه الانسان خـدمة كتـاب الله تعـالى الذى جعـله سبحانه نـورا وهـدى للبشرية جمعـاء لذلك شـرح الله صـدرى لسـورة من سـور القرآن الكـريم وهى « سورة الفجـر » لتوضيح البيـان فيهـا ، لأن القـرآن الكريم معجـزة الرسول الكريم ﷺ معين لا ينضب ، وعطـاء غـير مجذوذ ومن ثـم قامت جهـود العلمـاء بالدراسة فى ضـوئه • وها نحن اليـوم نهتـم بجهـد يسـير فى هـذا المجـال التطبيقى الذى يثـرى البـلاغة العربية ويفتـح أفـق جـديدة للقارىء والدارس لخـوض هـذا المجـال التطبيقى فيظهـر من خـلال ذلك بعض النكـات البلاغية باذن الله تعـالى •

وقـد نظمت هـذا البحـث على النحـو التـالى :

١ ـ التمهيـد : ويشـمل اسـم السـورة ، وسبب تسميتها ،

مناسبتها لما قبلها فى الترتيب المصحفى ، ومكان نزولها ، وعدد آياتها ، ومقاصدها ، والأسلوب الذى استخدمته .

٢ — البيان فى السورة ومنهجى منه كالآتى :

(أ) ربط الآيات بعضها ببعض مرقمة فى مواضعها .

(ب) تناول الحروف والكلمات بالشرح والتفصيل ومقصدى من الحروف التى لها معانى مختلفة بحسب استخدامها فى لغة العرب وفى القرآن الكريم خاصة لبيان فوائدها .

٣ — المعانى البلاغية من معانى وبيان وبديع موضحة كل منها فى موضعه من السورة وبيان الداعى البلاغى من كل آية . وقد اشتملت هذه السورة على عدة نقاط رئيسية :

(أ) القسم بعدة أشياء لها فضلها وأهميتها عند الله تعالى بحيث لو نظر اليها البشر لاتعظوا وآمنوا لأن فيها أدلة على وحدانية الله تعالى .

(ب) قصة أهل عاد وثمود وما حدث لهم لعدم ايمانهم فحق عليهم عذاب الله وانتقامه .

(جـ) بيان فضل النفس المطمئنة التى سكنت الى خالقها وآمنت به وبما أنزل سبحانه .

٤ — من خلال الشرح والتناول البيانى ذكرت ما يستفاد من الآيات من عبر وعظات وأحكام .

٥ - ثم بعد ذلك ذكرت الخاتمة ووضحت فيها أهم النكات البلاغية التى وردت فى السورة وما يستفاد من هذه الأشياء من عظات .

وبعد ذلك ذكرت أهم المراجع التى اعتمدت عليها ، وأرجو الله سبحانه التوفيق والرشاد والسداد .

فهو حسبى ونعم الوكيل ،،

الباحث

د. منى محمد على

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الاسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

« **والفجر** » (١) سورة الفجر مكية وعدد آياتها ثلاثون آية ..

والمراد بالفجر • أول النهار بعد ظلام الليل ويسمى الصباح كما فى قوله تعالى : « **والصبح اذا تنفس** » (٢) • قال على وابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ وابن الزبير وغيرهم سمى بذلك لانفجار الظلمة عن النهار فى كل يوم لا فى يوم معين وهو يوافق رأى الجمهور •

وقيل المراد به فجر يوم النحر فحسب ولا دليل على ذلك من الكتاب والسنة (٣) •

وفيما سبق من الآية الكريمة وما بعدها نجد الله سبحانه وتعالى قد أقسم بالفجر وكذلك بالليالى العشر والشفع والوتر والليل اذا يسر وقد أقسم سبحانه وتعالى بغير

---

١ ــ سورة الفجر آية : ١ •

٢ ــ سورة التكوير آية : ١٨ •

٣ ــ ينظر الجامع لأحكام القرآن لابى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ٥١٩ ، دار احياء التراث العربى ــ بيروت لبنان ١٩٦٧ م ، والفخر الرازى مجلد ١٦ ج ٣١ ص ٦٢ ، دار الفكر ١٩٩١ م ، والدر المنثور فى التعبير بالمأثور للسيوطى ج ٦ ص ٣٤٤ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .

هـذه الآيات كما فى قوله : « **والتين والزيتون وطـور سنين** »(٤) وقـوله : « **والشمس وضحاها والقمـر اذا تلاهـا** »(٥) .

فقـد أقسـم المـولى عـز وجـل بمخلوقاته السابقة وهى دونـه قـدرا ومن الأمـور المعروفة أنـه لا يجوز الحلف بغـير الله سبحانه وتعـالى أو أسمائه لقـوله ﷺ « من حلف فليحلف بالله أو ليصمت »(٦) .

فـاذا دققنـا النظـر فى هـذا الحلف نجـد أن لله سبحانه وتعـالى حكمـة وراء ذلك ليلفت نظـر النـاس الى نعمـه الجليلة عليهـم كى يشكروه عليهـا أو ليوجـه نظـر مخلوقاته من البشر الى ما فيهـا من آيات وعظـات لـو تأمـل فيهـا البشر لاتعظوا ولآمنـوا بـه ، فهى آيات ترشـد اليـه وتـدل عليـه سبحانه أو لقيمـة هـذه الأشـياء وقدرهـا ومكانتهـا الدينية القيمـة .

كمـا أقسـم سبحانه وتعـالى على غيرهـا من المخلوقات ولم يكن حلفه بهـا لشركتها لـه أو غـير ذلك وانمـا للمعانى السابقة .

فهـاهى عظمـة القـرآن الكريم وروعتـه .

« **وليـال عشـر** » والمـراد بهـا ليـالى عشر ذى الحجة ابتـداء من أولـه حتى ليـلة العشـر ، وبهـذا قال ابن عبـاس

---

٤ ـ سـورة التين آيـة : ١ ، ٢ .
٥ ـ سـورة الشمس آيـة : ١ ، ٢ .
٦ ـ مسـلم ، كتـاب الايمـان ـ باب النهى عن الحلف بغـير الله تعـالى ١١/١٠٦ من شـرح النـووى ، ط. المطبعة المصرية .

ومجـاهد وغيرهما (٧) وعن ابن عبـاس مرفوعـا :

« ما من أيـام فيهن العمـل أحب الى الله عـز وجـل أفضل من أيـام العشـر ، قيـل يارسول الله ولا الجهـاد فى سـبيل الله قـال ولا الجهـاد فى سبيل الله الا رجـل مجـاهد فى سبيل الله بنفسـه ومالـه فـلم يرجـع من ذلك بشىء (٨) .

وقـد أقسـم بهـا سبحانه لفضلها على غيرها ففيهـا الوقوف بعـرفة وعيد الأضحى وللعبـادة فيهـا أجـر عظيـم .

وقـد قيـل أنهن ليـالى العشر الأخـيرة من رمضان واستدل أصحاب هـذا الـرأى بقولهـم عن عائشـة رضى الله عنهـا : « كـان رسول الله ﷺ اذا دخـل العشـر ـ تعنى العشـر الأواخر من رمضان ـ شـد مئـزره وأحياله وأيقـظ أهـله » (٩) ولأن فيها ليـلة القـدر التى هى خـير من ألف شـهر لقـوله تعـالى : « **ليـلة القـدر خـير من ألف شـهر تنـزل الملائكة والروح فيهـا باذن ربهـم من كـل أمـر سـلام هى حتى مطلع الفجـر** » (١٠) .

---

٧ ـ روح المعـانى جـ ٣ ص ١١٩ .

٨ ـ حديث اخـرجه البخارى ـ كتـاب العيدين ـ باب فضـل العمـل فى أيـام التشريق ، فتـح البـارى ٢/٥٧ ، ط. السـلفية .

٩ ـ اخـرجه البخـارى ـ كتـاب فضـل ليـلة القـدر ـ باب العمـل فى العشر الأواخـر من رمضان ١٦٩/٤ ، فتـح البارى ، الطبعة السـلفية .

١٠ ـ سـورة القـدر آيـة من ٣ : ٥ .

وقيل هن العشر الأوائل من المحرم لأن فيها يوم عاشوراء .

وفيما سبق نجد خلاف بين العلماء فى تعيين المراد منها ومرجع ذلك أن الرسول ﷺ لم يعينه ، وتركه لاجتهاد الأئمة حتى يشغلها المؤمنون كلها بالعبادة فيزداد ثوابهم ويرفع من حسناتهم ويعلو قدرهم وقد ذكر الله سبحانه وتعالى « وليال عشر » وسر ذلك التعظيم والتفخيم لأمر هذه الليالى المباركة .

وقرأ ابن عباس بالاضافة أى « وليال عشر » بلام دون ياء .

وبعضهم « وليالى عشر » بالياء . وهو القياس ، والمراد وليالى أيام عشر فحذف الموصوف وهو المعدود وفى مثل ذلك يجوز التاء وتركها فى العدد ومنه « واتبعه بست من شوال » والمرجع للترك هاهنا وقوع فاصلة ، وجوز أن تكون الاضافة بيانية وهو خلاف الظاهر (١١) .

« **والشفع والوتر** » .. هذا هو القسم الثالث فى هذه السورة قيل « والشفع والوتر » يطلقان روح الصلاة والعبادة فى ذلك الجو المأنوس الحبيب ، جو الفجر والليالى العشر .. ومن الصلاة الشفع والوتر (كما جاء فى حديث

---

١١ — روح المعانى ج ٣ ص ١٢٠ .

أخرجه الترمذى) والمعنى السابق كما قيل هو أنسب المعانى فى هذا الجو من الصفاء والشفافية والعبادة الخالصة لله سبحانه .

نجد العلماء وقد اختلفوا فى بيان المراد منهما .

قال صاحب الكشاف روى عن مجاهد . الخلق كله شفع ووتر فأقسم سبحانه بخلقه . وروى عنه رأى آخر حيث قال الله تعالى هو الوتر . وخلقه سبحانه الشفع أو الذكر والأنثى .

« **والليل اذا يسر** » وهذا قسم رابع بعدما أقسم بالليالى العشر على الخصوص ، أقسم بالليل على العموم ، والمعنى أن يسرى فيه ، كما يقال ليل نائم ونهار صائم . كما فى :

لقد لمتنا يأم غيلان فى السرى

ونمت وما ليل المطى بنائم (١٤)

١٢ــ فى ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ المجلد السادس ــ الجزء ٣٠ ص ٣٩٠٣ ، دار الشروق ، ومن تحفة الأحوذى فى سورة الفجر ٢٦٧/٧ .

١٣ ــ الجامع لأحكام القرآن المجلد العاشر الجزء ٢٠ ، ص ٤٠ ، ٤١ ، دار احياء التراث العربى بيرت ــ لبنان ١٩٦٧ م .

١٤ــ هذا البيت من ديوان جرير فى قصيدة له يرد بها على الفرزدق .

وكـذا منـه « بـل مسـكر الليـل والنهـار » (١٥) .

وذلك على أنـه تجـوز فى الاسناد باسناد مـا للشىء للزمان كمـا يسـند للمكان وذلك هـو الأرجـح ، وهـو أن يكون مجازا عقليـا . فنجـد الليل لا يسرى وانمـا البشـر هـم الذين يسرون فى الليـل وقـد قيـل أنـه أداء عمـوم الليـل كلـه . وكلمـة « يسـر » أصلها « يسرى » باليـاء وحذفت اليـاء وصـلا ووقفا عند الجمهـور من غـير جـازم ، تخفيفـا للفـظ واستغناء عنهـا بكسـر الـراء .

قيل ليتفق هـذا مع رؤوس الآى أى مراعاة للفاصلة القرآنية . وحـذف حـرف اليـاء هنـا (١٦) والحـذف لا يؤدى الى اخلال بالمعنى المـراد .

فالآية الكريمة هنـا رقيقـة النغـم ، خفيفة الروح ، موجزة اللفـظ ، وافيـة المعنى ، فيهـا وزن ، ولهـا وقـع فى النفس .

« **هـل فى ذلك قسم لذى حجـر** » الحجـر (١٧) هو العقل وأصله لغـة بمعنى المنـع وأطلق على العقـل لأنـه يمنع صاحبه من المـكاره والمضـار ، فمن ملك نفسـه ومنعهـا من الدنايا يقال لـه أنـه لـذو حجـر ، وقـال الفـراء : العـرب تقـول أنـه لذو حجـر اذا كـان قاهـرا لنفسه ضابطا لهـا ، والاستفهام فى

١٥ــ سورة سـبأ ايه : ٣٣ .

١٦ــ الفاصلة القرآنية ، د. عبد الفتـاح لاشـين ص ٢٨ ، ٢٩ دار المـريخ .

١٧ــ لسـان العـرب مـادة حجـر .

لفظ « هل » استفهام تقريرى أى يريد أن يقررهم بقوله لهم • هل فى ذلك قسم لذى عقل •• أى مراد الآية الكريمة تقرير فخامة القسم بتلك الأشياء السابقة وكونها مستحقة للتعظيم والتفخيم لقسمه سبحانه وتعالى بها وأن المحلوف عليه أمر له خطره ، وجدير بأن يحلف بها عز وجل على أنه حق لاشك فيه ، وهذا المحلوف عليه مقدر أى لينزلن بكم العقاب يا أهل مكة بعدما رأيتم من الآيات السابقة وغيرها وأشركتم بربكم ، وهذا المقدر هو جواب الأقسام بهذه الأشياء ، مأخوذ مما جاء بعدم القسم من عقاب عاد وثمود وسواهم ممن أشركوا بالله سبحانه وعصوا وكفروا فيراد بقوله تعالى هنا وحق الفجر والليالى العشر ، والشفع والوتر من مخلوقاته سبحانه والليل اذا يسرى لتعاقبن يا أهل مكة على كفركم واشراككم بالله وان ذلك القسم العظيم لذى عقل بالمحلوف عليه كذلك : وقال أبو حيان فى ذلك الذى يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية وهو قوله تعالى : « **ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم** »(١٨) وتقديره لايابهم الينا وحسابهم علينا (١٩) وهو رأى حسن ذلك لأن الاقسام بهذه الأشياء السابقة جاء عقب سورة الغاشية مباشرة •

« **ألم تر كيف فعل ربك بعاد •• ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر**

١٨ـ سورة الغاشية آية : ٢٦ .

١٩ـ الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٤٣ .

بالـواد ، وفرعون ذى الأوتـاد الذين طغـوا فى البـلاد فأكثروا فيهـا الفسـاد فصـب عليهم ربـك سـوط عـذاب ، ان ربـك لبالمرصـاد »(٢٠) .

وفى هـذه الآيات الخطـاب موجـه للنبى ﷺ ابتـداء ثـم هـو لـكل من تتـأتى منـه الرؤيـة أو التبصر فى مصارع أولئك الأقوام ، وقـد استعمل سبحانه وتعـالى صـيغة الاستفهام فى قـوله « ألـم تـر » وهى أشـد اثـارة لليقظـة وهى للتنبيـه وقـد استعمل سبحانه فيمـا سـبق أسلوب الالتفـات ففيه تطرية لنشـاط السـامع وايقاظـا لاصغائه وذلك كقـول الشـاعر :

يامن يعـز علينـا أن نفارقهـم

وجد أننا كل شىء بعدكم عـدم(٢١)

نجـد الالتفات فيمـا سـبق لشـد نظـر السامع وذلك كمـا قـال ابن الأثـير حيث يـرى أن الالتفـات لا يكون الا لفـائدة اقتضـته وهى أمـر وراء الانتقـال من أسلوب لآخـر ولا تحـد بحـد ولا تضـبط بضـابط(٢٢) .

وفى قـوله سبحانه « ألـم تـر » نجـد أن لفـظ الرؤيـة هنـا أطـلق على العـلم وذلك لأن أخبـار عـاد وثمـود كانت

٢٠ـ سـورة الفجـر من الآيـة ٦ الى الآيـة ١٤ .

٢١ـ ينظـر المطـول ص ١٣١ ـ للتفتازانى ـ مطبعة احمد كامل ١٣٣٠ هـ .

٢٢ـ بغيـة الايضـاح ـ عبد المتعـال الصعيدى ، ١٥٧/١ .

منقـــولة بالتواتر ، والعلم الضرورى جـــار مجـــرى الرؤية فى القوة والجـــلاء والبعـــد عن الشـــبهة (٢٣) .

وقوله : « بعـــاد ، ارم ذات العمـــاد » وعـــاد هـــم قـــوم هـــود الذى أرسله سبحانه وتعالى اليهـــم وكـــانوا مشركين وعاد جدهـــم وفى اطـــلاق اسم الجـــد على ذريته أمـــر مألوف وهـــو ســـائغ حتى ألحقـــه بعضهم بالحقيقة ، وقـــد ذكـــر سبحانه فى هـــذه الآيات انهـــم عـــاد ارم وفى آيات أخـــرى أطلق عليهـــم عـــادا الأولى كما فى قوله تعالى فى سورة النجـــم : **« وأنـــه أهلك عـــادا الأولى »** (٢٤) وأجمـــع جمهور المفسرين على أنهـــم عـــاد واحـــدة أطلق عليها الاسمان وهـــم قـــوم هـــود ـــ عليه السلام ـــ واطلاق لفـــظ ارم عليهم لأنـــه لقب جدهـــم وقيـــل ارم اســـم جدتهم أو بلدتهم ولـــذا أنث وصـــفه بقوله تعالى : **« ارم ذات العمـــاد »** (٢٤) .

وقيـــل قـــوم عـــاد همـــا عـــادان ... الأولى : عـــاد ويقال لهـــم عـــاد ارم أيضـــا ، وأمـــا عـــاد الأخرى هى قبيلة كانت بمكة من العماليق وهـــو قـــول الطبرى ، وقـــال المبـــرد هى ثمـــود وقد وصـــف الله عـــادا فى هـــذه السورة بأنهـــا « ذات العمـــاد التى لم يخلق مثلهـــا فى البـــلاد » أى أنـــه لـــم يخلق مثلهـــم طولا وقـــوة فى البـــلاد ويكون ذلك على طـــريق التشبيه بتشبيه قاماتهم الطويلة

٢٣ـ الفخـــر الـــرازى مجلد ١٦ جـ ٣١ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .
٢٤ـ ســـورة النجـــم آيـــة : ٥٠ .
٢٥ـ الـــرازى جـ ٣١ ص ١١٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

بالأعمدة بجامع الطول فى كل .. وهو قول ابن عباس وهو الأقرب للصواب .

« ارم ذات العماد » فيه فيه اما عاد نفسها ويكون فيه من نكات البلاغة وضع المظهر موضع المضمر للتأكيد ، وقال البيضاوى هم أولاد عاد ، وقال الشهاب فانه يطلق اسم الأب على نسله مجازاً شائعاً حتى ألحق بالحقيقة (٢٦) .

ومما سبق نجد أقوال العلماء تنحصر فى قراءة العامة (بعاد) منونا وقد قرئت مضافا أى (بعاد ارم) فمن لم يضف جعل عاد ارم اسمه ، ولم يصرفه ، لأنه جعل عادا اسم أبيهم ، وارم اسم القبيلة نفسها ، وجعله بدلا منه أو عطف بيان ، ومن قرأه بالاضافة ، ولم يصرفه جعله اسم أمهم أو اسم بلدتهم ، وتقديره بعاد أهل ارم وذلك كقوله « اسأل القرية » والمراد أهلها .. ولم تنصرف سواء كانت قبيلة أم أرضا وذلك للتعريف والتأنيث .

ومما سبق . نجد النكتة فيه واضحة وظاهرة ليذكر السامع ما حدث لهؤلاء القوم فيكون ذلك لارهاب السامع أى ادخال الروع فى قلبه ولتقوية داعى المأمور .

٢٦ـ انظر روح المعانى للالوسى ١٢٤/٣٠ ، وحاشية الشهاب ج ٣٥٧/٨ ، والبيان عند الشهاب الخفاجى فى كتابه عناية القاضى وكفاية الراضى ، القسم الثانى ص ١٩٩ طبع ١٩٨٤ م .

« **وثمـود الذين جـابوا الصخر بالواد** » (٢٧) وثمـود عطف على عـاد وهى قبيلة مشهورة سميت باسـم جدهـم ثمود وجابوا أى قطعـوا ، فكنى بجابوا عن قطعـوا ، فالجوب هـو القطـع ، فقـد استعمل القـرآن الكريم كـل أسلوب بلاغى فى موضعه فى نسـق جميـل وعبـارة واضحة ونغـم رائـع ، ففى هـذه الآية الكريمة قطعـوا الصـخر وفصلوه من الجبـال المجـاورة لواديهم الذى يعيشون فيـه ليبنوا بـه قصورا وعمـائر فى واديهم وكـان يدعى وادى القرى — كمـا قـال محمد بن اسحاق (٢٨) ومساكنهم كانت بالحجـر من هـذا الوادى بين الحجـاز والشـام • يقول المولى عـز وجـل « **وتنحتون من الجبال بيوتا فـارهين** » (٢٩)

والفـاء للظرفية والجـار والمجرور متعلق بجابوا أو محذوف هـو حـال من الفاعل أو المفعول **وقيـل الباء للالة أو السببية** متعلقـة بجـابوا الصخر بواديهم أو بسببية وهـو خلاف الظاهر • والظاهر أنـه فيـه تقـول جبت البـلاد أجوبها اذا قطعتها (٣٠) •

« وفرعون ذى الأوتـاد » وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربون أوتادها فى منازلهم أو أنـه كان يـدق للمعذب أربعـة أوتـاد ويشـده بهـا مبطوحا على الأرض فيعذبه بمـا يريـد من ضـرب أو احـراق أو غـير ذلك •

٢٧— سـورة الفجـر آيـة : ٩ .
٢٨— القرطبى ج ٢٠ ص ٤٧ ، وفتـح القـدير : الشوكانى — ٤٣٢/٥ .
٢٩— سـورة الشعراء آيـة : ١٤٩ .
٣٠— روح المعـانى ١٢٤/٢٠ .

وفرعون هـو ملك مصـر فى العهـد القديم والمـراد منـه هنـا هـو فرعون الذى أرسـل لـه موسى وهارون عليهما السلام وقـد أغرقهم الله سبحانه لشركهم (٣١) .

فلننظـر الى عظمـة القـرآن الكريم فى ضرب الأمثـال للناس كى يتدبرها أرباب العقـول .

فالمعنى الأول لـذى الأوتاد أكثـر ملاءمة لمقام الانذار لقريش فهـو يفيـد أنـه مع كثـرة جنـوده وقـوته وجبروته انتقم الله منـه لكفـره ولـم يستعص عليـه فكيف بالضعفاء الذين يكفرون أو يفعلون المعاصى والمحرمات . يقول سبحانه وتعالى : **« وما الله بغـافل عمـا تعملون »** (٣٢) .

« الذين طغـوا فى البـلاد فأكثروا فيهـا الفسـاد ، فصب عليهـم ربك صـوت عـذاب » (٣٣) .

امـا مجـرور على أنـه صـفة للمذكورين عـاد ومن بعـده أو منصوب أو مرفـوع على الذم أى طغى كـل طاغيـة فى بلاده ففى هـذه الآيات الثـلاث وصـف الله هـذه الأمـم السابقة . بأنهـم طغـوا فى البـلاد ، فأكثروا فيهـا الفسـاد ، فعاقبهم الله عقـابا مستأصلا لهـم فطغيـان هـذه الأمـم قـد وضحها الله

٣١ـ البحـر المحيـط لابى حيـان الأندلسى ـ المجـلد الثـامن ص ٤٧٠ ـ دار الفـكر ١٩٧٨ م .

٣٢ـ سـورة البقـرة آيـة : ٧٤ .

٣٣ـ سـورة الفجـر آيـة : ١١ ـ ١٣ .

سبحانه وبينها خير بيان اما فى افسادها أو مجاوزتهم الحد فى الاساءة الى قومهم أو الى غيرهم من الأمم فضلا عن تكذيبهم لرسلهم وكفرهم بربهم سبحانه وتعالى .

« **فصب عليهم ربك صوط عذاب** » قد أكثر المفسرون فى تفسير هذه الآية . ومعنى الآية الكريمة فانتقم الله من هذه الأمم انتقاما مستأصلا هو سوط العذاب ، وأداته عند الله تعالى ولكن ليس كسياط الناس وأدواتهم التى ينتقمون بها ، وقد أطلق فيها الصب على متابعة الانتقام بكثرة هائلة وأطلق سوط العذاب على هذا الانتقام على سبيل المجاز .

« **ان ربك لبالمرصاد** » هذه الآية تعليل لما قبلها من التعذيب وايذان بأن كفار قريش سيصيبهم من العذاب ما أصاب المذكورين ان استمروا على شركهم .

والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصدون ويترقبون . وفى الآية الكريمة استعارة تمثيلية لحفظ الله أعمال العصاة واحصائها لينتقم منهم وذلك لأن الله سبحانه وتعالى ليس له مكان مطلقا سواء مرصادا أو غيره (٣٤) ونجد ابن عطية قد جوز كون المرصاد صيغة مبالغة كالمطعام والمطعان ولكن أبو حيان تعقبه بأنه لو كان كما زعم لم تدخل

٣٤- روح المعانى ١٢٥/٣٠ .

البـاء لأنهـا ليست فى مكان دخولها لا زائـدة ولا غـير زائـدة أجيب بأنهـا على ذلك تجـريدية (٣٥) .

« فأمـا الانسان اذا ما ابتـلاه ربـه فأكرمه ونعمه فيقـول ربى أكرمن . وأمـا اذا ما ابتـلاه فقـدر عليـه رزقـه فيقـول ربى آهـانن » (٣٦) .

وفى قـوله تعـالى « فأمـا الانسان » قيل وفى أنـه لشخص معين وذلك روايـة عن ابن عبـاس أنـه عتيبـة بن ربيعـة ، وأبو حزيفـة بن المغـيرة ، وقـال الكلبى هـو أبى بن خلف ، وروى مقـاتل أنهـا نزلت فى أميـة بن خلف ، وقيـل هى عـامة فى من كـان موصوفا بهـذا الوصف وهـو الكافر الجـاحد بيوم البعث ، والحـق عندى أنهـا عـامة فى كـل من ينطبق عليه هـذا الوصف فى كـل مكان وزمـان فكـل من يجحـد بنعمة الله سبحانه وعطائه ينطبـق عليـه ذلك ، فالانسان المـراد بـه الجنس والكثـرة . فالله سبحانه وتعـالى يبتـلى الانسان بالنعمـة والاكرام بالمـال والبنـون والمقـام فـلا يدرك أنـه ابتـلاء من الله سبحانه وتعالى وذلك تمهيـدا للجـزاء فبعض النـاس يقيسون الكرامة عند الله بعرض هـذه الحيـاة والانسان مخطىء فى تصـوره بأن الـرزق والمكانة دليـلا على أستحقاقه عند الله الاكـرام . وكـذا يبتليه بالتضييق فيحسـب الابتـلاء جـزاء كـذلك والاختبار عقـوبة .

٣٥ـ روح المعـانى ١٢٥/٣٠ .

٣٦ـ سـورة الفجـر من الآيـة ١٥ الى الآيـة ١٦ .

ولكن ما وراء ذلك من التوسعة فى معنى الكلام أن الله سبحانه يعطى الصالح وغيره ويمنع الصالح وغيره .

وقد خاطب القرآن اناساً من مكة يوجد مثلهم فى كل مكان فى الدنيا وفى كل زمان طالما الدنيا دنيا والانانس على ظهر البسيطة (٣٧) .

ونجد فى الآية الكريمة قسمان .. فى القسم الأول « اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه » وفى القسم الثانى « واذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه » ونجد فى الآيتين الكريمتين ذكر سبحانه كلمة ابتلاء ربه باكرامه وثانيا حيث قدر عليه رزقه ، ومما سبق نجد أن الابتلاء فى كلا الحالين ثابت لأن الله سبحانه قد أعطى الانسان الصحة والدين وسلامة العقل فيكون ذلك خير عطاء للانسان فاذا زاد الله سبحانه وتعالى المال فهذا لأمر يعلمه هو وحده واذا منع عن الانسان الرزق فهذا أيضا لأمر يعلمه الله فيجد صلاح العبد فى العطاء فيعطيه ويجد صلاحه فى المنع فيمنع عنه كذلك ويجد صلاحه فى الصحة فيعطيها اياه وكذا صلاحه فى المرض فيبتلى الانسان به مصداقا لقول رسول الله ﷺ .

(عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : أتانى جبريل فقال يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول ان من عبادى

٣٧ـ الرازى جـ ٣١/١٧١ والجامع لأحكام القرآن الكريم جـ ٢٠/٥١ : ٥٢ .

من لا يصلح ايمـانه الا بالغنى ولـو أفقرته لكفـر وان من عبادى من لا يصلح ايمـانه الا بالسـقم ولـو أصححته لكفـر وان من عبـادى من لا يصلح ايمانه الا بالصحة ولـو أسقمته لكفر) (٣٨) .

وقـد ذكـر الله سبحانه وتعالى القسم الأول بالفـاء والثانى بالـواو وذلك لأن رحمـة الله سابقة غضـبه وابتـلاؤه بالنعـم سـابق على ابتـلائه بالآلام (٣٩) .

وفى القسـم الأول « فأكرمه فيقـول ربى أكرمن » وفى الثانى لـم يقـل فأهـانه ، فيقول عـز وجـل « ربى أهـانن » وذلك لأن العبـد صـادق فى القـول الأول وغـير صادق فى الثانى (٤٠).

« **فيقـول ربى أكـرمن** » قيـل لـم يضـم اليـه ونعمنى وهـذه الجملـة خبـر للمبتـدأ الذى هـو الانسان ، والفـاء فى أمـا من معنى الشرط والظـرف متعلق بيقـول على نيـة التأخير أى تقـديم على نيـة التأخير فـلا تمنـع الفـاء من ذلك كمـا قـال الزمخشرى وابن حيـان والسمين ، وقـال فيـه الشهاب الحـق لا محيد عنـه وخالفهم الرضى ومن تبعـه فقالوا انما يجوز تقـديم ما بعـد الفـاء عليهـا اذا كان المقـدم هـو الفاصل بين أمـا والفـاء .

٣٨ـ الحـديث فى تاريخ بغـداد ١٥/٦ ط. المكتبة السلفية .
٣٩ـ الـرازى ١٧٢/٣١ .
٤٠ـ الـرازى ١٧٢/٣١ .

لما يتعلق بتقديمه من الأغراض فان كان ثمة فاصل آخر تقبل هذا فى غير الظرف ، امتنع تقديم غيره فيمتنع ، أما زيد طعامك فأكل وان جاوز أما طعامك فزيد آكل ، وحجتهم لما التزموا حذف الشرط لزم دخول أداته على فاء الجواب وهو مستكره فدعت الضرورة للفصل بينهما لشىء مما بعد الفاء والفاصل الواحد كاف فيه فيجب الاقتصار عليه وزعم الحلبى فى محشى المطول أن هذا متفق عليه فرد به على المفسرين اعرابهم السابق وخطأه وقال الصواب أن يجعل الظرف متعلقا بمقدر وهو المبتدأ فى الحقيقة والتقدير فأما شأن الانسان ... الخ . فالظرف من تتمة الجزء المفصول وبه ليس فاصلا ثانيا ، ويرد عليه أنه لا يصح وقوع جملة يقول خبرا عن الشأن الا بتعسف كأن يكون الفعل بتأويل المصدر وان لم تكن معه فى اللفظ أن المصدرية كما قيل فى تسمع بالمعيدى خير من أن تراه (٤١) . وذهب أبو البقاء الى أن اذا شرطية وجوابها فيول والجملة الشرطية خبر الانسان ويلزم حذف الفاء بدون القول وقد قيل أنه ضرورة (٤٢) .

« كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما » (٤٣).

واذا نظرنا استعمالات القرآن الكريم نجد كل حرف

---

٤١ —

٤٢ — الألوسى ١٢٦/٣٠ ، والمطول ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

٤٣ — سورة الفجر من الآية ١٧ الى ٢٠ .

وضع موضعه اللائق به فانظر معى الى كلا حرف ردع وزجر نحو قوله تعالى : « **رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا** » (٤٤) **فقوله سبحانه كلا ..**

عن ابن عباس لم أبتله بالغنى لكرامته على ولا ابتله بالفقر لهوانه على بل لك لمحض القضاء والقدر (٤٥) .

وقد قرأ أبو عمر « يكرمون » بالياء وذلك أنه لما تقدم ذكر الانسان وكان يراد به الجنس والكثرة ، وهو على لفظة الغيبة فحمل « يكرمون » ويحيون عليه ، وقرأت تكرمون والتقدير قل لهم يا محمد ذلك (٤٦) .

والحمل على الالتفات أولى وأحسن فالالتفات جاء للخطاب لتشديد التفريع والتوبيخ لهم والتشنيع عليهم .

« **ولا تحاضون على طعام المسكين** » أى لا يحض بعضكم بعضا على اطعامه . فالطعام مصدر بمعنى الاطعام ويخالف فى ذلك ابن حيان فيرى أن الأولى أن يراد به الشيء المطعوم ويكون الكلام على حذف مضاف أى على بذل طعام المسكين ،

٤٤ـ سورة المؤمنون من الآية ٩٩ : ١٠٠ ، وفى معنى كلا ينظر التسهيل ص ٢٤٥ ، ومن حروف الجواب فى اللغة العربية بحث بقلم أ. د. عبد الرحمن على سليمان نشر فى مجلة كلية البنات بأسيوط العدد الخامس ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ م .

٤٥ـ روح المعانى ٣٠/١٢٦ ، ١٢٧ ، الفخر الرازى ٣١/١٧٢ .

٤٦ـ الفخر الرازى ٣١/١٧٢ .

والمراد بالمسكين ما يعم الفقير • وقيل ولا يحضون بياء الغيبة ولا ألف بعد الحاء ، وباقى القراءات السبع بتاء الخطاب والفعل على القراءتين جوز أن يكون متعديا ومفعوله محذوف فيقال أنفسهم أو أنفسكم ويقال أهليهم أو أهليكم وجوز أن يكون منزلا منزلة اللازم للتعميم (٤٧) •

« وتأكلون التراث أكلا لما » أى ذا لم وقبل أو هو نفس اللم على المبالغة • واللمم الجمع • ومنه قول النابغة :

ولست بمستبق أخاك تلمه
على شعث أى الرجال المهذب

والمراد به هنا الجمع بين الحلال والحرام وما يحمد وما لا يحمد (٤٨) •

وفى البيت تذييل لتوكيد مفهوم (٤٩) وفيه أيضا جمع بين ما يحمد ومالا يحمد •

٤٧ـ الفخر الرازى ١٧٢/٣١ ، القرطبى ج ٥٢/٢٠ ، مجمع البيان للطبرسى ٧٤٠/٩ دار المعرفة ببيروت والألوسى ١٢٦/٣٠ ، ١٢٧ .

٤٨ـ الألوسى ١٢٧/٣٠ .

٤٩ـ هو للنابغة من مجموع مشتمل على خمسة دواوين من أشعار العرب ص ١٤ من قصيدة من الطويل اولها :

أتانى ابيت اللعن انك لمتنى .. وتلك التى أهتم منها وأنصب

ديوان النابغة طبعة المطبعة الأهلية بيروت ، وينظر ديوان المعانى ٢١٧/١ وديوانه ص ٥٦ ، ط. بيروت ، ومعاهد التنصيص ٣٥٧/٨ ، وكتاب قرة العيون على الجوهر المكنون للعزى بتحقيق منى محمد على ص ٣٩٣ .

« **وتحبون المال حبا جما** » أى حبا كثيرا شديدا مع الحرص والشره (٥٠) ومنع الحقوق ، فالمال فى كافة العصور له أناس دائما حريصون على جمعه وكنزه دون اعطاء حقوق الله سبحانه فيه من زكاة ومساعدة المحتاجين ، وحرص هؤلاء الشديد على جميع المال جعل فى قلوبهم قسوة مع ضعف اليتامى ، فيؤدى ذلك الى انتهاب أموالهم فقد كشفت الآيات عما يكنه هؤلاء فى حق اليتامى فنددت بهم فى قوله سبحانه وردع لهم على فعلهم هذا ، ويتمثل ذلك فى ايقاع الآية المنتظم وفى موسيقاها فى قوله تعالى « أكلا لما » و «حبا جما » .

« **كلا اذا دكت الأرض دكا دكا** » وكلا ردع لهم عن ذلك الحب والتكالب على المال سواء كان ذلك حلالا أم حراما (٥١) . وتحوى أيضا شىء آخر غير ما يحمله ظاهر الآية فى قوله كلا وهو أن يجعل الانسان الآخرة نصب عينيه لقول الرسول ﷺ : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » (٥٢) . لأنه مهما حصل وجمع ، طغى وبغى ، تكالب وظلم ففيه يوم لا يستطيع الانسان الفرار منه وسيحاسب على كل أعماله فالله سبحانه يذكرهم بقوله « كلا » بالآخرة .

٥٠ـ الكشاف ٤/٢٥٣ .

٥١ـ الكشاف ٤/٢٥٣ .

٥٢ـ رواه البيهقى فى شعب الايمان ـ باب فى الزهد وقصر الأمل ٧/٣٤٩ ، ط. دار الكتب العلمية .

وفى قـــوله « **اذا دكت الأرض دكـــا دكـــا** » ولذلك اليـــوم عـــدة صـــفات ، أولهـــا الدك كسر الحائط والجبـــل ، والدكاك رمك متلبد ، ورجـــل ملك شـــديد الـــوطء على الأرض .

وقـــال المبـــرد الدك حـــط المرتفع بالبسط والدك سنام البعير إذا انفرش فى ظهـــره . وناقـــة دكـــاء إذا كانت كذلك ومنه الدكاك لاستوائه فى الانفراش ، فمعنـــاه على قـــول الخليـــل كسر كـــل شىء على وجـــه الأرض من جبـــل أو شجـــر حين زلزلت فـــلم يبق على ظهرهـــا شىء ، وعلى قـــول المبـــرد أنهـــا استوت فى الانفراش فذهبت دورهـــا وقصورها وســـائر أنبيتهـــا حتى تصـــير كالصخرة الملســـاء (٥٣) .

وفيمـــا ســـبق لا تعارض بين الرأيين لأن كلاهما يـــدل على جـــلال الموقف وعلى هـــوله . ومن ذلك قـــوله تعالى : « **وحملت الأرض والجبـــال فدكتـــا دكـــة واحـــدة** » (٥٤) .

وكذلك قوله تعالى : « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » (٥٥).

والتكرار فى قـــوله دكـــا دكـــا أى دكـــا بعـــد دك كقـــولك حسبتك بابـــا بائـــا وعلمتـــه حرفـــا حرفـــا (٥٦) .

« **وجـــاء ربك والمـــلك صـــفا صـــفا** » وهى الصفة الثانية من

٥٣ـ الفخـــر الـــرازى ٣١/١٧٤ .
٥٤ـ الحـــاقة آيـــة : ١٤ .
٥٥ـ النازعـــات آيـــة : ٦ ـ ٧ .
٥٦ـ

صفات ذلك اليوم ونحن نعلم أنه ثبت بالدليل بأن الحركة على الله تعالى مستحيلة ، فلا تكون الحركة الا فى الجسم لأنه ليس أزليا فلابد من التأويل ، وهو من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامة فهنا أسند المجىء الى الله تعالى والحركة كما قلنا تجوز على من كان فى جهة . والجواب أنه تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حالة بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (٥٧) .

« وجاء ربك » أى زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وقيل أيضا أن الرب هو المربى ولعل ملكا هو أعظم الملائكة هو مربى للنبى ﷺ جاء فكان هو المراد من « وجاء ربك » .

فما سبق يطلق عليه لفظ المجاز على سبيل الاشتراك والتشابه وهو يطلق على كلمة تغير حكم اعرابها فكما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلى ، كذلك توصف به أيضا لنقلها عن اعرابها الأصلى الى غيره بحذف لفظ أو زيادة لفظ ، فمثال حذف لفظ كما سبق وذلك لاستحالة مجىء الرب فالحكم الأصلى الخبر وقد تغير الى الرفع بسبب حذف المضاف (٥٨) .

٥٧ـ الكشاف ٤/٢٥٣ .

٥٨ـ الفخر الرازى ٣١/١٧٥ .

« **وجيء يومئذ بجهنم** » (٥٩) وهى الصفة الثالثة من صفات ذلك اليوم ، وقيل نظيره . « وبرزت جهنم للغاوين » قال جماعة من المفسرين : جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع فالمراد « وبرزت » أى ظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره اليها . ثم قال « يومئذ يتذكر الانسان » ، وفى تذكرة وجوه عدة .

أولها : أنه يتذكر ما فرط فيه لأنه حين كان فى الدنيا كانت همته تحصيل الدنيا ثم انه فى الآخرة يتذكر أن ذلك كان ضلالا ، وكان الواجب عليه أن تكون همته تحصيل الآخرة لا الدنيا .

ثانيها : يتذكر بمعنى يتعظ فيقول « يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا » (٦٠) .

ثالثها : مروى عن الحسن أن يتوب .

« وأنى له الذكرى » وبين قوله « يتذكر » وقوله « وأنى له الذكرى » تناقضا فلابد من اضمار المضاف والمعنى ومن أين له منفعة الذكرى» (٦١) .

٥٩ـ سورة الفجر آية : ٢٣ .

٦٠ـ

٦١ـ الرازى ١٧٥/٣١ والكشاف ٢٥٣/٤ .

وقيل هو اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عند الجدوى لعدم وقوعه فى أوانه وأنى خبر مقدم ، والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أى ومن أين تكون له الذكرى وقد فات أوانها (٦٢) .

« **يقول يا ليتنى قدمت لحياتى** » (٦٣) الجملة بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن واللام للتعليل والمراد بحياته أى فى الآخرة ، ومفعول قدمت محذوف فكأنه قال ياليتنى قدمت لأجل حياتى هذه أعمالا صالحة أنتفع بها فيها ، وقيل اللام للتعليل الا أن المعنى يا ليتنى قدمت أعمالا صالحة لأجل أن أحيا حياة نافعة وقال ذلك لأنه لا يموت ولا يحيا حينئذ ، ويجوز أن تكون اللام توقيتية مثلها فى نحو كتبته لخمس عشرة ليلة مضين من المحرم ، وجئت لطلوع الشمس ويكون المراد بحياته حياته فى الدنيا أى يا ليتنى عملت أعمالا صالحة فى الدنيا وقت حياتى لأنتفع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما يدل على اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الأعمال الصالحة ، وقد قيل زعمه الزمخشرى دليلا على استقلال العبد بفعله ورد به على المجبرة وهم عنده غير المعتزلة زعما منه المنافاة بين التمنى والحجر ، وقد علمت أنه

٦٢ـ الالوسى ١٢٩/٣٠ .
٦٣ـ سورة الفجر آية : ٢٤ .

لا دلالة على ذلك وفى الكشف أن التمنى قد يقع على المستحيل على أنه حالئذ كالفريق (٦٤) .

« فيومئذ » (٦٥) أى يوم اذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال .

« لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » (٦٦) ، أما لا يتولى عذابه أحد سواه سبحانه وكأنه قيل لا يفعل عذاب الله تعالى ووثاقه ولا يباشرهما أحد وذلك لأن الفعل فى ضمن كل فعل خاص واستعمل ذلك استعمالا شائعا ، وفيه تعظيم عذاب الله سبحانه وتعالى ووثاقه سبحانه لهذا الانسان الذى شرح من أحواله ما شرح على سبيل الكناية ، وأما للانسان الموصوف والاضافة الى المفعول أى لا يعذب ولا يوثق أحد من الزبانية أحدا من أهل النار مثل ما يعذبونه ويوثقونه كأنه أشدهم عذابا ووثاقا لأنه أشدهم سيئات أفعال وقبائح أحوال . وهو وجه حسن وقد قرىء عن أبى عمر : « ولا يعذب » « ولا يوثق » بالبناء للمفعول فالهاء فى عذابه ووثاقه للانسان الموصوف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده بعد ما تبين له الله طريق النجاة والصواب ، ونصب العذاب على المصدرية واقع موقع التعذيب اما لأنه بمعناه فى الأصل

٦٤ـ روح المعانى ١٢٩/٣٠ .
٦٥ـ سورة الفجر آية :
٦٦ـ سورة الفجر الآية : ٢٥ ـ ٢٦ .

كالسلام بمعنى التسليم ثم نقل الى ما يعذب به أو لأنه وضع موضعه كما يوضع العطاء موضع الاعطاء وكذلك الوثاق ، وجوز أن يكون المعنى لا يحمل عذاب الانسان أحد ولا يوثق وثاقه أحد كقوله تعالى : « **ولا تزر وازرة وزر أخرى** » (٦٧) والعذاب عليه جار على المتعارف ، والنصب على تضمين التعذيب معنى التحميل والأول أنسب بمقام التغليظ على هذا الانسان المفرط أو أن التمكن والوجه الثاني للقراءة الأولى مطابق لهذا والمراد جنس المتصف بما ذكر وقيل المراد به أمية ابن خلف وقيل ابن أبي خلف ، وان قيل أن الآية نزلت فيمن ذكر وأما القول بأن هذا المعذب الموثق ابليس عليه اللعنة فليس بشيء اذ لا يقال له انسان (٦٨) .

« **يا أيتها النفس المطمئنة** » (٦٩) أي يقول رب العزة سبحانه وتعالى يا أيتها النفس ... الخ ، اما بالذات كما كلم الله سبحانه موسى عليه السلام أو على لسان الملك واستظهر أن هذا القول عند تمام الحساب ولينظر اتفاوت ما بين ذلك الانسان وهذه النفس ، ذاك يقول يا ليتني قدمت لحياتي . وهذه يقول الله تعالى لها « يا أيتها النفس المطمئنة » وكأنه للايذان بالتباين لم يذكر القول وتعطف الجملة على الجملة السابقة .

٦٧ـ سورة الزمر آية : ٧ .
٦٨ـ الفخر الرازي ١٧٦/٣١ ، ١٧٧ ، والالوسي ١٢٩/٣٠ ، ١٣٠ .
٦٩ـ سورة الفجر آية : ٢٧ .

وانفس قيل بمعنى الذات ووصفت الاطمئنان بذلك لأنها لترقى بقوتها العاقلة فى معارج الأسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات جلت صفاته وأسماؤه فتضرب وتقلق قبل الوصول الى معرفته تعالى فاذا وصلت اليه سبحانه وتعالى اطمأنت واستعنت به سبحانه عن وجودها وسائر شؤونها ولم تلتفت الى ما سواه ، جل وعلا ، وقيل هى النفس .

ونجد زين بن على وقد قرأ « يا أيها » بغير تاء وذكر صاحب البديع أن أيا قد تذكر مع المنادى المؤنث . قيل ولذلك وجه من القياس وذلك أنها كما لم تثن ولم تجمع فى نداء المثنى والمجموع فكذلك لم تؤنث فى نداء المؤنث واعتبار النفس هاهنا مذكرة ثم مؤنثة فما تلتفت اليه النفس المطمئنة (٧٠) .

« ارجعى » أى من حيث حوسبت « الى ربك » أى الى محل عنايته تعالى وموقف كرامته عز وجل لك أولا . وذلك لأن للسعداء تكريما من الله سبحانه وتعالى لا يكرم به غيرهم و « ارجعى الى ربك » بترك الالتفات الى ما سواه عز وجل ، والى ما أعد لك فى الجنة . ويقال الى سيدك أى الجسد (٧١) .

٧٠ـ روح المعانى ٣٠/١٣٠ .

٧١ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٦/٢٩٤٠ هامش . بيروت لبنان ـ دار المعرفة .

« راضـــية » بالثـــواب « مرضـــية » (٧٣) عنـــك بالأعمـــال الصالحة التى عملتهـــا فى الدنيـــا .

« **فادخلى فى عبـــادى وادخلى جنتى** » (٧٣) أى فادخلى فى جملة عبـــادى الصالحين المخلصين وانتظمى فى سلكهم وكـــونى فى جملتهم ، « وادخلى جنتى » عطف على الجملة قبلهـــا داخلة معهـــا فى حيـــز الفـــاء المقيـــدة لكـــون ما بعدهـــا عقيب ما قبلها من غـــير تراخ ، وقـــدم الأمـــر الأول لفضل الاولى على الثانية ، ونكتـــة الالتفـــات فيهـــا ظاهرة وتقـــدم الدخول أولا بفى وثانيها بدونها ، وقيـــل ارجعى الى موعـــد لقـــاء ربـــك أى ما وعـــده سبحانه فى الجنـــة (٧٤) .

٧٤ـ روح المعـانى ٣٠/١٣١ ، ١٣٢ .
٧٣ـ ســـورة الفجـــر آيـــة : ٢٩ ـ ٣٠ .
٧٢ـ ســـورة الفجـــر آيـــة : ٢٨ .

الخاتمـــــة

وبعـــد ... فمن خـلال النظـر لســورة الفجــر • يظهر لنــا أنهــا متناسقة متناسبة الآيات • وكـذا تتجـلى لنــا الوحدة الموضوعية فى الســورة وذلك كغيرها من ســور الكتـاب الحكيم الذى لا يأتيــه البــاطل من بين يديــه ولا من خلفــه • تنزيل من حــكيم حميــد •

فنجــد السورة يؤسس أولهــا لآخرها ويؤكــد آخرها لأولها فتــأخذ القلوب والعقول بأسلوبها المعجــز وأدلتهــا الدافعة للايمان برب العـــزة •

وقــد تضمنت السورة وجوها من المعــانى والبيان والبديع • موجزهــا ما يأتى : —

١ — أقســم الله سبحانه وتعالى بمخلوقاته وهى دونه قــدرا ليلفت نظــر الناس الى نعمــه الجليلة عليهــم كمــا يشكروه عليها، وليوضح ما فيهــا من آيات وعظــات لــو تأمل فيهــا البشر لآمنوا بــه سبحانه واتعظــوا •

٢ — ورد التنكير فى « ليــال عشــر » وذلك للتعظيم والتفخيم لأمــر هــذه الليــالى •

٣ — أتى بالمجــاز العقــلى كذلك فى الآيات « والليل اذا يسر » حيث أســند ما للشىء للزمان كمــا يســند للمكان لتقريبه للأفهام •

٤ — استعمل الحذف لدلالة الجواب عليه كما فى قوله : « هل فى ذلك قسم لذى حجر » الجواب محذوف يدل عليه ما قبله فى آخر سورة الغاشية فى قوله تعالى : « ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم » لأن الاقسام بهذه الأشياء جاء عقب الانتهاء من سورة الغاشية والحذف ليجعل العقل يذهب فى صنع الجواب فى مجال متسع .

أتى سبحانه وتعالى بالالتفات فى قوله : « **ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك صوط عذاب ان ربك لبالمرصاد** » ، فيه نظرية لنشاط السامع وايقاظا منه لاصغائه ولتلوين الأسلوب .

لهذا أتى بالالتفات فى قوله : « **كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما** » .

قل لهم يا محمد لا تكرمون فجاء الخطاب للتشديد والتوبيخ والتشنيع عليهم .

وكذلك فى قوله : « **فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** » وقدم الأمر الاول لفضل الأولى على الثانية .

٦ — استعمل المولى عز وجل صيغ الاستفهام كما فى قوله تعالى « ألم تر » وقد وردت هنا للتنبيه . والخطاب هنا الى التعميم والشمول .

٧ — استعمل التشبيه فى كلامه فى قوله تعالى « ارم ذات العماد » حيث شبه قاماتهم الطويلة بالأعمدة بجامع الطول فى كل .

٨ — وكذلك وضع المظهر موضع المضمر للتأكيد « ارم ذات العماد » .

٩ — أتى بالمجاز فى قوله « فصب عليهم ربك سوط عذاب » حيث أطلق سوط العذاب على الانتقال على سبيل المجاز .

١٠ — « ان ربك لبالمرصاد » ذكر الاستعارة التمثيلية فى قوله السابق احفظ الله أعمال العصاة واحصائها لينتقم منهم لأنه سبحانه ليس له مكان سواء كان مرصادا أم غيره .

١١ — وكذا أتى بالتقديم على نية التأخير فى قوله « فيقول ربى أكرمن » .

١٢ — أتى كذلك بحروف الردع والزجر فى قوله « كلا » .

١٣ — وقد أتى ببعض الألفاظ للمبالغة « وتأكلون التراث أكلا لما » .

١٤ — وقد أتى بالتذييل لتوكيد مفهوم « وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما » .

١٥ — وكذا أتى بالمجاز على سبيل الاشتراك والتشابه فى « وجاء ربك » .

١٦ــ وكـــذا أتى ببدل الاشتراك فى قـــوله « يقول يا ليتنى قدمت لحيـــاتى » •

١٧ــ وأتى كـــذلك بالكناية فى قـــوله « لا يعـــذب عذابه أحـــد ولا يوثق وثاقـــه أحـــد » للايذان بالتبـــاين •

١٨ــ وكـــذا عطف « يا أيتهـــا النفس المطمئنة » على الجمـــلة الســـابقة للايذان بالتبـــاين •

١٩ــ نلاحظ الايجـــاز فى القصص والأنبـــاء لأن القصـــد منها التذكـــير والاعتبـــار •

٢٠ــ مراعـــاة الفواصل القرآنية وهـــو من خصائص القـــرآن لمـــا فيـــه من روعـــة البيـــان وحســـن الوقـــع على السمع وهـــو مشـــهور •

٢١ــ ايقـــاع الآيـــة المنتظم وموسيقاها فى قـــوله « أكلا لمـــا ــ حبـــا جمـــا » •

تلـــكم هى أبـــرز الصـــور البلاغية التى استوقفتنى فى مجـــال البيـــان فى الصـــورة ونأخـــذ منهـــا أن الجـــزاء من جنس العمـــل وذلك فى قصص السابقين لتكـــون لنـــا عظـــة وعبـــرة ، وكـــذا الآيات توضـــح أنـــه لابـــد من الايمـــان بالقضـــاء والقدر ، ولابد لنـــا من العـــودة اليـــه سبحانه ليجـــازى كـــل انسان منـــا بعمله بتقســـيم الأرزاق والحظوظ أولا ؛ وما كـــان للانسان سوف يأتيـــه

والخـــير فيمـــا اختاره الله سبحانه وتعالى للانسان فيبتلى الانسان أمـــا بالمـــرض أو الولد أو المـــال أو الحرمان من أى شيء فنعمـــه كثـــيرة ومتنوعة وموزعـــة بتقدير محـــكم فليحمد كـــل منـــا ربـــه على ما أعطـــاه فالكل محـــاط بنعـــم الله التى لا تحصى .

« وان تعـــدوا نعمـــة الله لا تحصـــوها »

فهرست المراجع

١ — البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى — دار الفكر ١٩٨٨ م.

٢ — بغية الايضاح — عبد المتعال الصعيدى ، طبعة خامسة المطبعة النموذجية .

٣ — تاريخ بغداد — المكتبة السلفية .

٤ — التبيان عند الشهاب الخفاجى . فى كتابه عناية القاضى وكفاية الراضى ، طبع ١٩٨٤ م .

٥ — تفسير روح المعانى .. للألوسى — دار احياء التراث العربى — بيروت — لبنان ١٣٥٣ هـ .

٦ — تفسير الفخر الرازى — دار الفكر ١٩٩١ م .

٧ — الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن الانصارى القرطبى . دار احياء التراث العربى — بيروت — لبنان .

٨ — الدر المنثور فى التفسير بالمأثور . للسيوطى ، دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت — لبنان .

٩ — ديوان جرير . بنشر الأستاذ عبد الله الصاوى ، مطبعة الصاوى بمصر .

١٠ — ديوان المعانى — طبع بيروت .

١١ — ديوان النابغة . طبع المطبعة الأهلية — بيروت .

١٢ — شعب الايمان — طبع دار الكتب العلمية .

١٣ — صحيح مسلم — من شرح النووى ، ط. المطبعة المصرية .

١٤ــ الفاصلة القرآنية • د• عبد الفتاح لاشين ــ دار المريخ •

١٥ــ فتح البارى فى صحيح البخارى ــ المطبعة السلفية •

١٦ــ فى ظلال القرآن • سيد قطب ــ دار الشروق •

١٧ــ كتاب قرة العيون على الجوهر المكنون ــ العزى ــ رسالة دكتوراه بتحقيق : منى محمد على عيد ١٩٩٠ م •

١٨ــ لسان العرب • لابن منظور • نشر دار المعارف ــ القاهرة •

١٩ــ مجمع البيان للطبرسى • دار المعرفة ــ بيرو ت•

٢٠ــ مطول على التاخيص ــ سعد الدين التفتازانى • مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠ ه •

٢١ــ معاهد التنصيص ــ على عبد الرحيم أحمد العباسى • مطبعة السعادة ١٩٤٧ م •

٢٢ــ من تحفة الأحوذى •

٢٣ــ من حروف الجواب فى اللغة العربية بحث تعليم • أ• د• عبد الرحمن سليمان ــ مجلة كلية الدراسات بأسيوط ــ العدد الخامس ١٩٨٥ م •

تم بحمد الله وتوفيقه ،،